كَلْـــواذى

للأســـتاذ شكرى محمود أحمد

إحدى طساسيج[1] بغداد المشهورة ، ومواطن اللهو المذكورة ، لها ذكر فى الأخبار والآثار ، بل ربما كانت من أقدم المواضع الأثرية فى العراق .

قال المسعودى فى الكلام على الأمم ولغاتها ومواضع مساكنها ما نصه « الأمة الثانية : الكلدانيون ، وقد ذكروا فى التوراة بقوله عز وجل لإبراهيم « أنا الرب الذى أنجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثاً » ... وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذى من أرض العراق ، وإليها أضيفوا ، وكانوا شعوباً وقبائل منهم الأثوريون والجرامقة والأرمان ونبط العراق وأهل السواد ... ثم يحدد مملكتهم هذه فيقول : وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشام وبلاد العرب واليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان ... ثم يقول بعد ذلك : وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ، ولسانها واحد سريانى وعاصمتها واحدة هى كلواذى[1] .

وقد دلت الحفريات التى أجريت فى هذا الموضع على أنها من أقدم الأراضى المعمورة فى العراق كما سيبين هذا فى موضعه .

اسمها ومعناه :

اختلف المحققون فى شكل اسمها وعدد حروفه ، واختلافهم يدور على الحرف الأول والأخير منها . قال ياقوت فى معجمه : كلواذى بالفتح ثم السكون والذال معجمه آخره ألف تكتب ياء مقصورة[2] ، وعلى هذا أيضاً صفى الدين بن عبد المؤمن فى كتابه مراصد الاطلاع[3] .

وجاء فى كتاب محمد بن الحسن الحاتمى الذى سماه « جهة

(١) مفردها طسوج فارسى معرب أصله تسوه فأبدلت التاء طاء والهاء جيما كما هو معروف فى قواعد التعريب ومثله طارج معرب تاره .

(١) التنبيه والاشراف ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

صهيونية ولا سورية الكبرى ...

***

وبعد ، فلا يبلغ بكم الجزع ، فالخطب إن شاء الله يسير ، والسلامة قريبة ، والمرض زائل ، وما أخشى على مصر المرض ولكن أخشى أن تنقشع السحابة ، ويعود الصفاء ، فننسى أن فى مصر ملايين لم تصل إليهم هذه الحضارة ، ولم يستمتعوا بشىء من متعها ، ولم يصبهم من خير مصر إلا الأقل ، وخيرها يصيب كل أجنبى عن مصر ، آكل لخيراتها كاره لها ، مزدر لأهلها ، وإن لهؤلاء حقاً صريحاً ، حقاً أقرته الأديان والشرائع كلها ، والإنسانية ، وقواعد العدالة : هو أن يكونوا أصحاء الأجسام ، متعلمين مايفهمون به الخير من الشر ، واجدين من المال مايشترون به ضروريات الحياة . وننسى أن الله خلق الناس إخواناً ، فلم يخلق بعضهم عبيداً لبعض ، وأن عمرو بن العاص ، أبطل العبودية من مصر وألغى (نظام الطبقات) ، وسوّى بين الناس ، فى العهد الذى نسميه جهلا وغفلة عهد (القرون الوسطى) ، وأنه من العار على الإنسانية وعلى الحضارة ، وعلى مصر ، أن تعود إليه مصر فى (قرن العشرين)

وأن ننسى أن الإنكليز هم جاؤونا بالوباء ، وأنه لا يأتى منهم إلا هذا ... وأخشى أن نعود إلى معاملتهم وتحسين الظن بهم وبحضارتهم وأن لا نقطع على أنفسنا عهداً جازماً ، مقسمين بقبور اخواننا هؤلاء الذين قضوا شهداء (الكوليرا الإنكليزية) ، وبدماء شهدائنا الذين سقطوا صرعى على ثرى مصر رصاص الإنكليز من يوم وطئوا مصر غاصبين إلى هذه الساعة ، وبأمجاد ماضينا ، وأرواح أجدادنا ، أننا سنقاطع كل شىء إنكليزى ولو كان الخبز الذى نأكله ، والماء الذى نشربه ، والهواء الذى نتنشقه ، وأن نموت أحراراً ، إن لم نجد إلا حياة الذل حياة !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

الأدب »[١] وابتدأ فيه بالرد على المتنبي أن الصواب فيه كِلْواذ بكسر الكاف وإسكان اللام وإسقاط الياء[٢] .

أما معناه فقد ذكر ابن الإعرابي : الكلواذ تابوت التوراة[٣] وقال الحاتمي : قلت له — يعني المتنبي — أخبرني عن قولك :

طلب الأمارة في الثغور ونشوة ما بين كرخايا إلى كلواذ

من أين لك هذه اللغة في كلواذ ؟ أحسبك أخذتها عن اللاحين . قال : وما الكلواذ ؟ قلت : تابوت التوراة ، وبها سميت ، قال وما الدليل على هذا ؟ قلت قول الراجز :

كأن أصوات الغبيط الشادي زِرٌّ مهاريقٌ على كلواذ

الكلواذ تابوت توراة موسى عليه السلام . وحكى في بعض الروايات أنه مدفون في هذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ[٤] .

موقعها :

قال ياقوت : كلواذى طسوج قرب مدينة السلام بغداد ، وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق . ثم قال : وهي الآن خراب أثرها باق ، بينها وبين بغداد فرسخ للمنحدر[٥] . وعلى هذا أيضاً صفي الدين في مراصد الاطلاع ، ولكنه زاد عليه : وهي أسفل من بغداد أحد أبوابها إليه ، وهي قرى كثيرة عامرة[٦] .

وكان تحتها في القديم قرية عامرة اسمها مصرانا جاء ذكرها في معجم البلدان ومراصد الاطلاع[٧] . وكان بين كلواذى وقرى بنّا فرسخان[٨] وكان من أعمالها قرية صغيرة اسمها الفِرْك ، جاء ذكرها في شعر أبي نواس في هجاء إسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد في قوله :

أحين ودعنا يحيى لرحلته وخلف الفرك واستعلى لكلواذا
أتته فتحة إسماعيل مقسمة عليه أن لا يريم الدهرَ بغداذا
فحرفه رده لأقول فتحته أقم على ولا هذا ولا هذا[١]

وإلى جانب كلواذى قرب نهر تامُرّا[٢] قرية أخرى اسمها الزعفرانية[٣] ، ولا تزال هذه القرية عامرة تحمل هذا الاسم .

ومن أعمال كلواذى قرية باري[٤] ذكرها ياقوت وصفي الدين قد بدىء بإعادة بناء هذه القرية حديثاً باسم « بغداد الجديدة » لأن الشركة المشرفة على البناء لم تعرف اسمها القديم . وقد كانت هذه القرية كثيرة البساتين والمتنزهات يقصدها أهل البطالة واللهو والمولعون بشرب الخمر ، وقد ذكرها الحسين بن الضحاك الخليع في قوله :

أحب الغي من نخلات باري وجوسقها المشيد بالصفيح
ويعجبني تناوح أيكتيها إليّ بريح حوذان وشيح
ولون الغي مصارع للسكارى ، ونادبة الحمام على الطلوح
وكأساً في يمين عقيد ملك تزين ســـفاته غرر المديح

أما موقعها بالنسبة إلى خطط بغداد في هذا العصر ففي معسكر الرشيد الذي كان يسمى معسكر الهنيدي ومدينة المهال ومخيم الأرمن وحلبة السباق وتل محمد[٥] وتل حرملة[٦] ، وناحية الكرادة . وربما كان هذا الاسم « كرادة » تطوراً لاسمها القديم كلوازى .

التنقيبات في كلوازى : أجريت تنقيبات كثيرة في بعض مناطق كلوازى ، عثر فيها المنقبون على أمور مهمة جداً في تاريخ العراق . وأقدم من قام بالحفريات في أطلالها البعثة الألماني فلكس جونس سنة ١٨٥٠ وكتب كتاباً باللغة الألمانية عن الحفريات بين النهرين ، ومما عثر عليه في تل محمد ألواح كثيرة من اللبن المشوى كما عثر على كتابة لحمورابي . (ج ٢ ص ٩٥)

---

(١) وجدت قسما من هذا الكتاب في إرشاد الأديب في ترجمه الحاتمي ، ومطبوعاً ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٧ هـ ولم أجد فيه هذا الخبر الذي ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٣) » » » »

(٤) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٥) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٦) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

(٧) مراصد الاطلاع ص ٢٧٢ .

(٨) معجم البلدان ص ٢٨٦ .

(١) هذه القصيدة غير موجودة في ديوان أبي نواس وهي في معجم البلدان في مادة كلوازى .

(٢) يسمى هذا النهر عند مصبه في دجلة نهر ديالى .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٢٠٣ .

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥ ومراصد الاطلاع ص ٨٥ .

(٥،٦) ليس لهذين اللذين ذكرهما معجم الأدباء ومراصد الاطلاع ، والغالب أن اسمهما مستحدثان .

وهناك تل آخر يبلغ نصف قطره ١٥٠ متراً اسمه تل حرمله يفصله عن تل محمد نهر مندوس وأرض مرتفعة طولها ٦٠٠ متراً وقد اعتبرها هرتزفلد بقايا مدينة مندرسة .

ولما أرادت الحكومة العراقية أن تبنى مدينة للعمال وصغار الموظفين سنة ١٩٤٥ قامت مديرية الآثار العراقية بإجراء التنقيبات فى المنطقة التى بين تل محمد وتل حرملة لمعرفة طبيعة هذه الأرض المندرسة .

وقد أظهرت الحفريات أن تل حرملة يمثل سوراً حصيناً على شكل مربع غير منتظم له باب واحد فى الجهة الجنوبية الغربية وعلى طرفيه أبراج عظيمة هائلة .

وعثر بنتيجة الحفر على معبد كبير طوله ٢٨ متراً وعرضه ١٨ متراً ، على بابه أسدان بحجمها الطبيعى ، كما عثر على معبد أصغر منه طوله ١٥ متراً وعرضه ١٤ متراً وعلى بابه أسدان أيضاً من الطين المشوى . وعثر على عدة أبنية مماثلة ، وعلى بناية واسعة طولها ٢٥ متراً وعرضها ٢٣ متراً يتم شكلها على أنها كانت موضع الإدارة ، وعثر على بنايات صغيرة يتم شكلها على أنها كانت دوائر حكومية وخزائن للوثائق الرسمية .

أما الآثار التى عثر عليها فى هذا التل فأهمها ١٣٠٠ لوحة من مختلف الأنواع والحجوم ، وكلها من الطين المشوى ، وفى بعضها مستندات يستعملها الكهنة وهى تحمل اسم الإله « خانى » واسم زوجه « نيسابا » كتبت داخل طغراء مربعة الشكل .

وفى إحدى هذه الألواح قائمة بأسماء مدن ، كما عثر على ستة تماثيل من الطين المشوى وهى مهشمة لقدم العهد[1]

ذكرها وأخبارها : كانت كلواذى ملتقى الفساق ومأوى العشاق ، يجتمع فيها أرباب التهتك والدعارة يعقدون فيها مجالسهم بين رياضها وعلى حافتى أنهارها ، يشربون ويفجرون . يقيمون فيها الشهور بين الدنان والقيان والمعازف ، مقيمين على إطاعة إبليس فى هتك ستر الماضى واقتراف الآثام

فهذا أبو نواس قيل له مرة : هل تريد الحج ؟ فأجاب : نعم إذا قضيت لذات بغداد . . وأتى له ذلك وهو فى بغداد التى جمعت الظرف والجمال والمتعة والثراء ... وهب أن بغداد ضاقت به فلم يطق الحياة فيها حتى دفعت به إلى الحج فكيف يتخلص من قطربل وكلواذى ، وهؤلاء شذاذ بغداد ملء السمع والبصر ... وفيهم يقول .

وقائل هل تريد الحج قلت له : نعم ، إذا قضيت لذات بغداد
أما وقطربل منى بحيث أرى ، فقنة الفرك من أكناف كلواذ
فالصالحية فالكرخ التى جمعت شذاذ بغداد ماهم لى بشذاذ[2]

ومن ظريف ما هجيت به بغداد قول بعضهم :

اخلع ببغداد العذارا ودع التنسك والوقارا
ولقد بليت بعصبة ما أن يرون العار عارا
لا مسلمين ولا يهو دولا مجوس ولا نصارى

فكيف يترك أبو نواس هذه الحياة المرحة ويذهب إلى الحج ؟.. ولكن الرشيد لما خرج يريد الحج شاء أن يكون فى ركابه شاعرنا الظريف أبو نواس ، فاصطحبه معه ، وفى مكة نظم أرجوزته المشهورة ، وهى أروع ما قيل فى الزهد أولها :

إلهنا ما أعدل لك مليك كل من ملك

فلما عاد أبو نواس إلى بغداد أشيع أنه تنسك بعد حجه ، وعكف يكفر عن ذنوبه ، وهذا خبر ظريف ، وكيف يكون ذلك وهو فى بغداد بين عصابته من أحلاس الكأس وفرسان الخمر ، ثم هذه كلواذى وطيزناباذ ، وتلك قرى بنا قد توزع قلبه بين حاناتها وظبائها ، فكيف يزهد ويرعوى ؟ ويترك هذه الحياة الضاحكة المصفقة ؟ لذلك راح يكذب هذا الخبر — خبر التنسك بأبيات ظريفة منها :

قالوا : تنسك بعد الحج قلت لهم : أرى وأرجو وأخشى طيزناباذا
ما أبعد النسك من قلب تضمنه قطربل فقرى بنا فكلواذا
فإن سلمت ، وما قلبى على ثقة من السلامة ، لم أسلم ببغداذا[3]

ومن الغريب أن مطيع بن اياس وهو رأس العصبة الماجنة ، يذم بغداد كما يذم كلواذى ويأسف على عمره الذى زال عنه وأسكنه بغداد ، ثم يدعو على بغداد وكلواذى بالخراب قائلا :

حبذا عيشنا الذى زال عنا حبذا ذاك ، حين لا حبذا ذا
زاد هذا الزمان شراً وعسراً علينا ، إذ أحلنا بغداذا

(١) مجلة سومر السنة الأولى المجلد الثانى .

(١) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٧٢ .
(٢) » » » ص ٢٧٢ .

بلدة تمطر التراب على النا س ، كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلا واخرب ذو العر ش بأعمال أهلها كاوادا [١]

كانت كلواذى ميناء مدينة بغداد ، ترسو فيها السفن التجارية القادمة من واسط والبصرة[٢] أو القادمة من شمال بغداد فى نهر دجلة أو نهر نامرا ، وقد كانت عامرة على عهد العباسيين تمد بغداد بمختلف المنتوجات الزراعية ، بل كانت من الأسباب الهامة التى جعلت المنصور يختار موضع مدينة السلام بغداد فى هذا المكان .

قال المقدسى إن المنصور انتصح بما أشير عليه فى بناء عاصمة ملكه فى هذا الموضع ، ويذكر هذا الجغرافى أن أصحاب المنصور قالوا له « تنزل فى بغداد فإنك تصير بين أربعة طساسيج ، طسوجان فى الجانب الغربى وطسوجان فى الجانب الشرقى ، فأما اللذان فى الجانب الغربى فقطربل وبادوريا وأما اللذان فى الجانب الشرقى فنهر بوق وكلواذى [٣] »

وبقيت عامرة بقراها مدة طويلة من الزمن ، وقد خربت على عهد ياقوت أى فى القرن السابع الهجرى لأن ياقوت كانت وفاته سنة ٦٢٦ هـ .

كانت أرض كلواذى منخفضة لذلك كانت مهددة بالغرق كلما زادت المياه فى دجلة . ففى سنة إحدى وأربعين وستمائة مثلا زادت دجلة زيادة مفرطة وغرقت مواضع كثيرة فى بغداد فعمل الناس سداً بين بغداد وكلواذى ، وانتقلوا خلف السكر ، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلى دار السناة — وهى القصر الموجود فى القلعة حالياً — .

قال ابن الفوطى وفى هذه السنة ٦٤١ هـ احكم السد الذى بين بغداد وكلواذى ، وخرج تاج الدين بن الدوامى حاجب باب النوبى إلى باب كلواذى — هو الباب الشرقى حالياً — وأحكم السكر وبات عليه[٤] »

وقد شهدت كلواذى المعارك بين الأمين والمأمون ، ودارت فيها المعارك بين الجيشين ، قال المسعودى : لما تقدم هرثمة بن أعين إلى بغداد نزل زهير بن المسيب الضبى أحد قواده فى مصرانا مما يلى كلواذى ، وغشى ما فى السفن من أموال التجار الوارده من واسط والبصرة ، ثم تقدم فنزل كلواذى فتأذى الناس به ، وعمد له خلق من المعيارين وأهل السجون والشطار [١].

وكان الشطار والمعيارون يحاربون المأمونية وهم عراة فى أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم واوخل (؟) من الحوص سموها الخوذ ، ودرقاً من الحوص والبوارى محشوة بالرمل والحصى ، وقد خرجت العراة ذات يوم فى مائة ألف رجل إلى كلواذى بالرماح والسيوف والقصب والطرادات ونفخوا فى القصب وقرون البقر وزحفوا على المأمونية فى كلواذى حتى أخرجوهم منها[٢]

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

شكرى محمود احمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٤ .
(٣) المتزع ص ٢١ .
(٤) ابن الفوطى ص ١٨٦ .

صدر اليوم :

شرق وغرب

ديوان ضخم حافل مصور فى طبعة أنيقة ممتازة

وثبات بعيدة فى شعر الفن والجمال والحب
صور جديدة لشعر البطولة وأمجاد العروبة
للشاعر على محمود طه

التصوير لنابغتى الفن
محمد سليم شوقى وعبد العزيز خالد درويش

يطلب من
دار إحياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه
الثمن ٣٠ قرشاً عدا مصاريف البريد